كاميرا الحبّ والحرب

(من قصص المقاومة)





الكتـــــــاب	كاميرا الحب والحرب
النــوعيـــة	روايــــــة
اسـم المؤلـف	مكّي النزال
تنسيق داخلي	هبـــة خليـــل
رقـــم الإيـداع	2018/13067
الترقيم الدولي	978-977-6534-56-8
إشراف عام	رباب الشهاوي
مديرة النشر	هند عبد الله (نور مانجا)
لطلب الكتاب	01126652278 - 01022897649

ويمكن طلبه عن طريق موقع جوميا من Elfoad Publishing Marketplace



هذا الكتاب يحمل رأي ورؤية الكاتب وحده، ولا يمثل الدار أو أي من العاملين بها.

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

كاميرا الحبّ والحرب

(من قصص المقاومة)

رواية قصيرة





الإهـــــــداء

لمن ساروا، ولم يصلوا

لمن مكثوا، ومَن رحلوا

***

لمن كانوا فمَ الدنيـــــا

بنبض همومها شُغلوا

***

فساروا في مفازتها

وقد حمَلوا وما حُمِلوا

***

كثيرٌ غيرُهُم هذروا

وهُم في صمتِهِم فَعَلوا



جدول المحتويات



تقديـــم

لقد عرفتم مكّي النزّال شاعرًا يكتبُ للحبِّ وأهله، وللحربِ وأبطالِها وضحاياها، ولمُدُنِ الأُمّةِ وشهدائها.

كما عرفتموه محلّلًا سياسيًّا وصحفيًّا وكاتب مقالات تُعَدُّ بالمئات نشرتها له كُبريات الصحف والوكالات العربية والأجنبية حتى فاز بجائزة أفضل مقال لعام ٢٠١٠ من مؤسسة أمريكية معروفة وهي مؤسسة (بروجكت سنسورد)، ومؤلفًا لكتابين في الشأن العراقي إضافةً لثلاثة دواوين شعرية ومئات المخطوطات التي سنعملُ على نشرِها تباعًا بإذن الله تعالى.

ولا ننسى مقابلاته على التلفاز مع أشهر القنوات الفضائية العربية والعالمية.

واليوم نعرّفكُم به قاصًّا لا يحيدُ عن طريق الحبِّ الأسمى والمقاومةِ خالدةِ الذِّكْر.

نضعُ بين أياديكم الكريمة باكورة نتاجه القصصي في روايةٍ قصيرةٍ Novelette ذات فصول مختلفة الأماكن والأحداث والأبطال، عدا بطل قصته الأوحَد، (المصوِّر)، في تناول شيّق لموضوعة المقاومة التي تفاداها غيره لأسباب معروفة.



ولعلّكم ستجدون أسلوبًا يرقى لرِفعةِ ذائقةِ القارئ الحصيف، بعيدًا عن المباشرة بالطرح والسرد والخطاب الحماسيِّ.

مكّي النزّال هنا مصوّرٌ يُشهِرُ الكاميرا عوضًا عن القلم لينقلَ ويوثّقَ أحداثًا عاشها في مدينته المُقاوِمة (الفلوجة) التي يعشق، وعاصمته (بغداد) التي تعيشُ في ضميره، ومنافيه التي تعايش معها بلا عُقَد ولا شكوى في هذه الرواية التي أحرق قَبلها روايتين كتبهما في شبابه مسجّلًا احتجاجه على ابتعادهما عن جراحِ أُمته وبلده -العراق.

لن نتطفّلَ على وقتكم كثيرًا، ونضعُ تحت أنظاركم ما نعتقد جازمين أنه عملٌ يليق بهذه القامة الشعرية السامقة التي عرفتم.

الناشر



تقديم الكاتب

شهِدتُ قصصًا لا تكفي لسردها مجلدات من الكتُب، ولا تغطيها مئاتُ الأفلام في مدينتي (الفلّوجة) التي اتخذت مقاومة المحتلّين سبيلًا لإرضاء ربِّها ورفعة مجدِها.

أمضيتُ أربعَ سنين فيها بعد الاحتلال وأدرتُ مستشفاها الميدانيّ إبّانَ عدوانٍ همجيٍّ بما تحمل الكلمة من معنى، وأدرتُ أعمالَ إغاثة ضحاياها ودافعتُ عن مظلوميها بجهدِ المُقِلّ، وكنتُ شاعرها وشاعرَهم، أُشيدُ بأبطالها وأرثي شهداءَها وأصرخُ بوجوه من ظلموها.

كذلك، وبعدَ أن نُفيتُ من بلدي قبل عشر سنين، دافعتُ بما أستطيع عن عراقٍ ذبحهُ أعداءُ الأُمَّةِ واصطففتُ مع ثُلَّةٍ من أبنائهِ الغيارى ممّن يصلون الليلَ بالنهارِ منافحينَ عن دينهم وأرضهم وأبناء بلدهم في جهدٍ سياسيٍّ في المنفى.

ولا أقولُ هذا مفاخِرًا – معاذَ الله – ولكن ليعرفَ قارئ عملي المتواضع أن فحوى هذا الكتاب لم تأتِ من فراغٍ أو خيال، وإنَّما من واقعٍ عشتُهُ بتفاصيله الرهيبة.

أنا اليومَ أضعُ تحت أنظارِكُم وجهًا آخر لعملي الأدبي الذي أردتُ أن أُوَثِّقَ من خلالهِ النزر اليسير من بطولات مدينةٍ اسمها (الفلّوجة) وبلدٍ اسمهُ (العراق)، مُعتمِدًا التكثيفَ والإشارة دونما تفصيل مُراعاةً لوقتكم وذائقتكم.

(وأرجو ملاحظة أن القصة الأولى هي تعريف ببطل الرواية ومُدخَل لها أكثر من كونها فصلًا من فصولها التي أردتُ أن أوصل رسالتي على صفحاتها).

راجيًا الله تعالى أن يتقبَّل صالحَ عملي ويغفرَ الزلل، ثُمَّ آملًا أن تحقق هذه الرواية الهدفَ المرجوَّ منها دون أن تخدشَ مشاعركم النبيلة.

تقبلوا فائق امتناني ولا تنسوني وبلدكم الجريح (العراق) من دعواتكم المخلصة.

مَكّي النزال



المصوّر الجوّال

يحمل كامرته ويتجول في أرجاء المدن.

يبقى في كل مدينة إلى أن يلتقط صورته المفضلة فيها

صيده الثمين صورة يختزنها في الكاميرا ويسافر بها

يعود إلى غرفته في بغداد ليطبعها

يطيلُ تأملها،

يختزنها في ذاكرته ،

يحبها

يحبها،

الصورة الحبيبة رقم كذا

يصور مآذنَ قديمةً وسياراتٍ وطيورا

يصور قططاً ومسنّينَ وطرقات

يصور موتاً وحياة وأعراساً ومآتم

يصوّرُ جنودًا يطلقون النار وشبابًا يتصدّون لهم في كل مكان

ويصور فتيات

نادت عليه فتاة: مصوِّر..، لو سمحت

التفت بلا مبالاة ..، اشتغلت عنده الذاكرة

- صوّرتك من قبل، صح؟

- لا أظن، متى وأين؟

لم ينس ذلك اليوم عند الآثار

صورها بعد أن أسرت لبّه

لكن جنود الاحتلال أخذوا منه الكاميرا وأتلفوا خزينها

ظل يتردد لنفس المكان عله يجدها

والآن وجدها في مكان آخر

- أنا مدين لك .. فقد صادر جنود الاحتلال كامرتي وفيها صورك التي صورتها لك عند الآثار قبل عامين

- أنت ذلك المصوّر؟ وتذكّرُني؟

صبّت جام غضبها عليه لأنه أضاع عليها فرصة الصور التذكارية ولم يعد

- لكنني عدت ...أقسم أني عدت مرات ومرات ولم أجدك

- كنت قد أوصيت صديقاتي أن يأخذن الصور منك لأني سافرت

- أعوضها لك الآن....

- مستحيل .. أنت؟

عندما قطع الأمل بتصويرها .. ظل يحدّق في وجهها وحركاتها وسكناتها قرّر أن يختزنها في ذاكرته ... والألم يعتصر قلبه على عمل فشل في إنجازه.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



العم ذو النون

-أعتذر لك إن أزعجتك..، ربما ظننتك ولدي الغائب فركض قلبي صوبك أو أنّك تشبه جاري الذي اغتالته طائرة، لا أدري..،

سأمضي في طريقي يا بُنيّ

-هل تأذن لي أن أُساعدك بشيء يا عم؟ أحمل عنك؟ أوصلك لمكان ما؟

-تستطيع نعم..، صادفني في مكان ما يومًا ما

-دلني عنوانك فأزورك

-بل صدفة

أحب الصدف فهي لا تثقل على أحد، وقل لأبيك أنك تحبه.

سأسمعك فأنا مستمع جيد عن بعد،

ولا تبك أمامه فتجرح قلبه

وقل لله إني بخير

أيها المصوّر، لو سمحت، صوّر لي هذه الطفلة بعد استئذان والدها فهي تشبه حفيدتي كثيرًا، أريد أن أحتفظ بها في ذاكرة أتركها للأجيال.

- أهلاً بالعم العزيز، سأُثري بسبب ما تطلب من صور.



- أهلاً بك، هل صورتَني أو صورتَ لي قَط؟

- أصوّرُكَ وأُصوّر لك كل يوم يا عم وما أجمل انتقاءَك للأشخاص والمشاهد! أنت مُخرج عظيم.

- مُخرج؟ من أخبرك؟ ها؟ قل لي من؟ الكل نسوا هذه المعلومة حتى أنا يا ولدي.

- إذن انت مخرج حقًّا؟ يا للروعة!

- لو تصوّر قدر ما تتكلم لأثريت كما قلت. صوّر يا بُنيّ صوّر ولا تكثر الكلام.

- أمرك يا عم.

"غفر الله لك يا عم فما تدفعه لا يكفي ثمناً لوقود السيارة، ولو شئتَ لدفعتُ لكَ ما تشاء".

كليك كليك كليك

- سأحفظها مع المجموعة وكالعادة أعطيها لك آخر الأسبوع.

- نعم، تذكرتك. أنت مصوّر ماهر وحسّاس ولا تنسَ أن تخفيها عن الناس وتحذفها بَعد أن تسلمها لي.



- حاضر يا عم، ولو انّي أستفيد منها في أرشيفي، لكن لن أخالفك.

- اذهب الآن لو سمحت فهنالك زائر لا أريدك أن تراه.

جلس في المطعم يتحدث لشخص لا يراه ويسمعه إلا هو، وكانت ملامحه تتغير فمرةً يبتسم وأخرى يتوتّر ويثور، وتارةً يصمت وكأنه يُصغي. فوجئ بالمصور يبتلعه في عدسته..،

- ماذا تفعل؟ ألم نتفق ألّا تصورني يا مشاغب؟

- أرجوك يا عم لا تمنعني فأنا أرى فيك أبي وأعمامي.

- أها.. إذن فأنت حالمٌ ايضًا كعمّك..، لا بأس لا بأس.

- حفظك الله لنا.

ظل يتردد لذلك المكان لكي يرى الرجل السبعينيَّ ويصورّه ويحاول أن يفهم سرَّ أحاديثه مع نفسه متخيِّلًا زوجته مرة وابنه وبناته وحفيداته في المرات الأُخر، متحدّثًا بلهجة موصليّةٍ جميلة.

" لا بُدّ أنهم هاجروا وتركوه وحده..، يا لجحود بعض الناس!"

- لا تصوّرني اليوم.

- لمَ يا عم ذنّون؟



- لا أحبُّ أن أكون وحدي في الصورة، ولم يزرني أحد، تأخَّروا وأنا قلقٌ عليهم.
- لتتحدّث ريثما يأتي أحدُهم يا عم فأنا أحب أحاديثك.
- الموصل كلها تحبني، لكني أحسُّ بغربة في بغداد.
- غريبٌ ما تقول يا عم، فكلنا نحبُّك والله.
- نعم، لكن المثل يقول أهلك ولو تهلك.

هل هنالك أخبار من الموصل على التلفاز؟ سمعتُ أن الحلفاء يقصفون دورنا بلا رحمة ويقتلون الناس.

- التحالف يا عم ذنون، نعم والمدينة مدَمَّرة
- ....
- ستعمّرونها من جديد والمهم سلامتكم.

غرق في صمتٍ طويل والدمع يترقرق في عينيه المتعبتين إلى أن ظهر رجل فيه بعض ملامحه وهُرع إليه ليعانقه ويجهش الاثنان بالبكاء..

- عظّم الله أجرك يا أخي الحبيب.
- لاا، لا تقلها! إيّاك أن تقول إنهم ماتوا فهم أحياء، أحياء تحت الأنقاض وسينقذهم شباب المدينة. أحمد يا ولدي، بشرى، ريما، أم

أحمد يا رفيقة العمر، صغيرتي فَجر! جاري أبا سرور، قولوا لعمكم إنكم أحياء في قلبي.

تعال يا ولدي وأخبره كم مرةً صوَّرتهَم معي لكي يصدّقَني، أرِه الصور.

- **كفكف دموعك يا عمّ فالصور لا تكذب. وأنت يا سيدي عليك أن تصدّق العم ذنون.**
- **هيا يا ولدي قم بعملك وصورني مع أخي لتكتمل المجموعة..، تسمونها ألبوم أليس كذلك؟**
- **هو كذلك يا عم ذنون**
- **كليك كليك كليك**

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



الحكيم الثمل

أصرّ عليه جارُهُ السكّير أن يصوره وهو في أسوأ حالات سكره. حاول جهده أن يتفاداه لكن الرجل أصرّ وأقسم وتمسّك.

تساءل لماذا يختلف شكل الإنسان وطريقة كلامه وحتى مشاعره حين يسرف في شرب الخمر التي لم يجرّبها في حياته.

- سأصوّرك على أن تدعوني إلى كأس معك.
- لا لا لا ! إياك والخمر يا جاري العزيز، فهي أسوأ من امرأة فاسدة.
- لماذا تعاقرها إذن؟
- ألم أقل لك إنها أشبه بامرأة فاسدة؟ هو عشق فاسد يا جاري.
- حسنًا فلنبدأ. كيف تحب لصورتك أن تكون؟
- لا لا لا! ليس الآن يا فنان، لننتظر إلى وقت لاحق. انظر إلى هذه الزجاجة وابدأ التصوير حين يكون ما فيها قد قارب على النفاد.
- أو تبقيني هنا إلى آخر الليل؟! أطلق سراحي يا رجل!
- لن تندم يا جاري العزيز، صدقني.

وصدَق جارُه الذي جعل من ليلته واحدة من ألف ليلة وليلة أو تكاد، فقد تبين له أنه سندباد حقيقي جاب أقطار الدنيا وتعلم العديد من اللغات وتزوج من النساء وأنجب من الأولاد ما يفوق ما فعله أمراء القصص الخيالية.

روى له قصصه في الجيش حيث كان (نائب ضابط) في القوات الخاصة وكم كان متمرّداً على الأوامر..،

- لكن من أين جاءت هذه الأوسمة إذن؟
- حين تبدأ المعركة أنا شخص مختلف
- فصّل وأسهب فلدينا الوقت
- لا أحب التبجح
- على كل حال أوسمتك تروي الكثير..، لكن ماذا عن المقاومة؟
- سيأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

استغلّ اندماج جاره برواية القصص ليلتقط له صوراً تكاد تكشف ما في قلبه من ألم وحسرة، كما كان الرجل ينبوع حكمة وعلوم دنيوية وحتى دينية حتى بدا له وكأنه حكيم هذا الزمان. انتبه إلى دموعها تنهمر بين فينة وأخرى وكأنها في مجلس عزاء نسائي.

استيقظ في الصباح ليجد نفسه في غرفة جاره وتذكّر أنه قد سقط مغشياً عليه لكنه كان بين المفيق والنائم حين وضعه جاره في سريره وغطّاه والدمع يبلل الوسادة. نهض من السرير ليجد إفطارًا على الطاولة وجاره منتفخ العينين لكنه يرسم ابتسامة عريضة على وجهه.

- أعتذر لك يا جاري عن كل شيء.
- تعتذر عن ماذا؟ لقد كانت ليلة من خيال يا رجل.
- لكنها مترعة بالحقيقة.
- هل ستكون بخير؟
- لا تقلق عليّ. لقد فعلتها آلاف المرات.

كاد قلبه ينفطر لمّا رأى الصور وجاره في آخر صورة وقد تمازج دمعه مع مخاطه مع لعابه ليكون مشهدًا مؤلماً لرجل يستحق أفضل من ذلك.

"سآخذها له وهو يقرر ما يفعله بها".

لم يفتح له الباب فظل يطرقه بقوة حتى خرج جارهما الآخر.

- رأيته يحمل حقيبته التي جاء بها إلى هنا ويخرج.

"ترى على أية جزيرة ستحط رحالك أيها الحكيم التائه في سكره"؟

مرّت الأيام والأسابيع وهو يسأل عن جاره بين الفينة والفينة دون جدوى إلى أن رنّ هاتفُه:

- أما زلت تصوّرُ السّكارى؟
- بعضهم فقط، هل من سهرة أخرى؟
- كلّا، لقد كانت ليلتنا ليلة توبتي من الخمر.
- أخبار عظيمة ومثيرة للتساؤلات.
- دعك من التفاصيل يا صديقي النقيّ ولاقني غربَ جسر الفلوجة الجديد في العاشرة صبيحة يوم السبت.
- الفلوجة؟
- هناك الجذور وهناك الصورة الأخيرة.
- لا تُخِفني، ما بك يا جاري؟
- لا تخف، واسمع مني. كن خلف نخلة وجهز عدسة التصوير عن بُعد وكن صبورًا.
- لكن كيف سأجدك؟
- أنا سأجدك. إلى اللقاء.

وفي مكان وزمان الموعد اقترب منه رجل ملثّم على دراجة نارية فأخفى الكاميرا على عجالة

- لا تُخفِها يا مصوّر
- عفوًا أخي، أنا أنتظر صديقًا من سكّان المنطقة لأصوّر له عرس ابنه.
- اعتبرني صديقك الذي تنتظر، واعلم أني أعرف العرس الذي ستُصَوِّر. تفضّل معي، خبز تنور الطين ألذ من كل طعام ومعه بيض دجاج عربي، وأمّا الشاي فعلى نار الحطب.
- أشكرك، والله إنك أغريتني وفتحت شهيتي.

أحس بطمأنينة غريبة للرجل الغريب فتجاذبا أطراف الحديث بينما تناولا وجبتهما الريفية البسيطة، وما لبث رتل من مدرعات جيش الاحتلال أن ظهر وهو يعبر الجسر ببطء، فهبّا معًا

- أظنه العرس المقصود أيها المصور فاستعدّ
- أتظن ذلك؟
- أتعني أنك لا تدري؟
- لا والله لا أدري غير أني في انتظار ما يستحق التصوير.
- توكّلنا على الله.

ما إن وصلت المدرعة الأولى نهاية الجسر حتى انطلقت صواريخ القاذفات باتجاه الرتل وكان مشهدًا لا يُصَدَّق، فلقد ترك ثلاثة من رجال المقاومة ساترهم وتقدموا باتجاه الرتل

- **هذا هو..، النحيل الطويل..، إنه هو**
- **مجانين..، إنهم مجانين، كيف يتركون الساتر؟**
- **كليك..، كليك..، كليك!**

ثم صوّرهم بالفيديو ونيرانهم تلتهم المدرعات

- **هيا بنا.**
- **إلى أين؟**
- **واجبك انتهى.**
- **لكن ماذا عن الجماعة؟ ربما يحتاجون مساعدتك.**
- **واجبي أن أطير بك من المكان فهيا بنا ولهم الله.**

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



الضحكة العصيّة

احتار كيف يصورها وهي تطلق ضحكتها المجلجلة، فهي تحاربه بعنادها فتصمت كُلّما حضر وكأنها في مجلس عزاء أو جنازة! ترك اهتمامه القديم بها وصار شاغله تصويرها وهي تضحك. تبعها أينما ذهبت مع زميلاتها في الجريدة وكأنه في مهمة استخبارات سرية، لكنها انتبهت له في كل مرة وكأنها ركّبت راداراً يكشف وجوده.

عرض عليها أن يجعل من صورتها وهي تضحك مادة للمسابقات التي يشارك فيها وأن ينشرها على كل المواقع التي يعرض أعماله فيها وأن...، لكن عروضه لم تلق لديها أذناً صاغية.

قصتهما بدأت حينما كان معها لتغطية حدث ما وكانت أول مرة يقومان بعمل معًا.

وفي خضمِّ انشغاله بتصوير اللقطة الذهبية تعثر فسقط هو والكاميرا! حرصُه على الكاميرا جعله يسقط سقطة بشعة في بركة صغيرة تجمعت من مياه المطر! التفت إليها فوجدها تضحك وكأنها طفلة صغيرة ودموعها تهمي من عينيها على خديها المتورّدين!

- أتضحكين؟



- آسفة والله، لم أستطع أن أسيطر على نفسي.

- وما المضحك في الأمر؟

- أنت! كان منظرك مضحكًا وأنت تحاول إنقاذ الكاميرا وتنسى نفسك.

وجد نفسه في غمرة ضحكها الهيستيري يضحك ويضحك بلا توقف! أصابه شعور غريب بالفرح بالرغم من الألم في أضلاعه وإحدى يديه.

- أنت مجنونة.

- وأنت؟ ما شاء الله على عقلك!

- لكن المقال أصبح في خبر كان يا مجنونة!

- لِمَ؟

- لأن الصورة لن تكون واضحة.

- لا تهتم، سنضع صورة حمار بدل صورة المسؤول الذي كنت تحاول تصويره.

واستمرّ مهرجان الضحك الثنائي الذي لفت أنظار الناس حتّى انشغلوا بهما عن المناسبة التي حضروا من أجلها.

- تعالي نأكل شيئاً فالجوع كافر.



- أتريدني ان أدخل معك مطعمًا وأنت هكذا؟ أنت تحلم!

- بل أنت التي تحلم يا عزيزتي، فلسنا ذاهبين إلا إلى تلك العربة!

- تدعوني إلى طعام من عربة؟

- أكيد، فالناس مقامات.

- والله أنت تستحق ما حصل لك.

لم يوقفها حنقها عليه عن الضحك الذي أتعب أنفاسها. أكلا الشطائر من العربة وشربا الشاي وكادا يغصّان بالطعام أكثر من مرة فضربها على ظهرها وضربته على ظهره وكأنهما على علاقة وثيقة منذ سنين.

توسل إليها أن تسمح له بتصويرها لكنها رفضت بشدة متحججة بهندامها البسيط. استسلم لعنادها آملاً في فرصة أخرى لتصويرها وهي تضحك.

ثم خيّم صمت أخذهما كلاً إلى عالمه الذي تغير فجأة. صار كل منهما يقلّب دفتر مشاعره ليرى ماذا حلّ به بعد تلك العاصفة من القرب الروحي الغريب، ثم يعود ليسائل عقله ويشاور حكمته ويحاول استشراف المستقبل.

- شكرًا

- علامَ؟



- على غبائك!

- لو لم أكن غبيًا لما رافقتك.

- أنت غبي محظوظ.

- وأنت ساحرة.

- شكرًا لك.

- شرّيرة!!!

استمرت العلاقة بينهما كحبيبين وبدأ الحديث عن الزواج وتفاصيله وموعده بعد أن قالت له إن أهلها لن يعارضوا وأنهم يثقون بقرارها، لكن الموضوع نُسف بكلمة من أبيها الذي ضغط عليه أعمامها لأن الرجل (من طائفة أخرى) والوضع الجديد في البلد لا يسمح بالتزاوج بين أبناء الطائفتين المختلفتين!

حاولا جهدهما وبعثا بالأهل والأصدقاء لإقناع عائلتها دون طائل، فقررا انتظار تغيير ما في يوم ما. لكن اليأس تمكن من إرادتهما فتزوج هو وتزوجت هي.



- لنكن واقعيين وَنَجِد لِنَفَسَينا من يقبل وتقبل الزواج بمجنون كأنت ومجنونة كأنا يا ولد وإلا قضينا عمرينا حسرة ونالت منا وحدة الشيخوخة.

- ماذا أقول؟ يبدو أنها الحقيقة المرة التي علينا أن نبتلعها.

- أحمد الله أني لن أقضي عمري مع غبي مثلك!

- وأنا أحمده على سلامتي!

ظلا زميلين وصديقين يداريان اللهفة في قلبيهما تحت أغطية الوفاء لعائلتيهما الجديدتين والدين والأخلاق. وظلت رغبته في تصويرها وهي تضحك رهينة عنادها وتفاديها لعدسته كلما ضحكت.

وصل متأخراً للجريدة ذات يوم فوجد حشداً من الناس..،

- مسكينة، صدمها الجنود بعربتهم المدرّعة ولاذوا بالفرار! أتعرفها يا أستاذ؟

نادته لما عاد إليها وعيها في المستشفى

التفت فإذا بابتسامة كأنها حلم كبير يتحقق، ثم ضحكة ولا أحلى!

ضرب بيده على جبينه، فقد أعطى الكاميرا لرجل الأمن في الجريدة في خضم الحدث!



- أعرف أن الكاميرا ليست معك، ولذلك أضحك!

- يا له من سائق أمريكيٍّ غبيّ لم يتقن إنجاز ما بدأ.

كانت خشيتها عليه لا توصف حين يخرج رفقة الكاميرا ليصوّر عمليات المقاومة ضد جيش الاحتلال في بغداد، لكنها تخاف أكثر حين تعلم أنه ذاهب للفلوجة، فهناك يبدو الموت أوضح ووسائله متعددة.

- لا تذهب إلى الفلوجة أيها المجنون فالمعارك هناك طاحنة وأنت مصورّ ولستَ مقاتلًا!
- ومن سيوثّق الجريمة والبطولة إن لم أذهب أنا وغيري من أبناء الوطن؟
- أعلم أنك مُحق لكني أخشى عليك.
- لا تخشي الموت فهو محدد بوقته.
- كيف قبلت زوجتك أن تذهب؟ لمن ستتركها أيها العنيد؟
- يبدو أنها تريد الخلاص مني، فلقد شجّعتني على الذهاب وأوسعتني دعاءً
- يا لها من مؤمنة! أغبطها على قوتها وصدقها.
- هل تعنين أني لا أستحقها يا لئيمة؟

- لا، لن أناكفك الآن وأنت متوكل على الله في هذه المهمة..، اذهب راشدًا وقلبي معك قدر ما يسمح له شرع الله. وقل لأولئك الرجال أن قلوبنا معهم وأنا ندعو لهم بنصرٍ يثلج صدورنا و....

أجهشت بالبكاء وهو يحاول أن يهدّئ من روعها دون جدوى...، ثم انتبه فرفع الكاميرا..

كليك كليك كليك

- ماذا تفعل أيها المجنون؟
- عرفت الآن لماذا فشلت في تصويرك ضاحكة
- لماذا يا فهيم؟
- لأنك أبيت إلا أن تكوني صاحبة أجمل صورة ألتقطها فأنت بدموعك الخاشعة أحلى وأنقى وأرقى...

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



أصحابُ السجن

البلل يعني الكثير له حين يصوّر الأشخاص والأشياء:

عصفور مبلل ينفض عنه الماء..،

رجل بهندام كامل يفاجئُه المطر فيهرول محرجاً ليجد أي ملجأ متواضع..،

مسؤول يفتتح مهرجاناً أو حفلاً يهرب من مزنة والكاميرات تكف عن تصويره إلا كاميرته (المُشاغبة)!

أو امرأة متعجرفة بكامل تبرجها وكبريائها تتمنى لو انها لازمت دارها بعد أن سال كل شيء على كل شيء وصارت لوحة سريالية مثيرة للسخرية.

كِلِك كِلِك كِلِك

لا ينتبه له الذين يصورهم مبللين لأنهم يكونون منشغلين بأنفسهم وكيفية الهروب من المطر وكأنه بركان ستحرقهم حممه. لكن الحظ يأبى أن يظل مبتسماً! فذات يوم انتبه له أحد أفراد حماية الوزير وهو يلتقط صوراً تفضح تفاهة ذلك الوزير الذي أوشك أن يبكي على هندامه حين فاجأه المطر.

- أنت..! أيها المصور!

- نعم، تفضل.



- هات هذه الكاميرا وتعال إلى هنا.

- ولِمَ تريد الكاميرا؟

- أمسكوه وائتوني به.

أحسَّ بزخةٍ من الركلات تهبط على كل مكان في جسمه يرافقها سيلٌ من الشتائم. أما الكاميرا فقد طارت من يده ليتلقفها رجل بضعف حجمه.

أفاق ليجد نفسه ملقىً على أرضية مكسرة وحوله أشخاص غرباء.

- مرحباً بك في منتجع السعادة.
- ماذا؟ أين أنا؟ ومن أنتم؟
- سنكون أصدقاءك رغم أنفك وأنوفنا لمدة لا يعلمها إلا الله.
- هل أنا في السجن؟
- أنت في السجن يا صديق الوزير.
- الوزير؟ وما أدراكم؟
- الأخبار هنا تنتشر بسرعة يا صديقي.

كان الألم قاتلاً وكان الجميع يواسونه ويحاولون التسرية عنه، سيَما الشاب الوسيم الذي بدا له غير مكترث بكونه سجيناً. فهو يضحك ويُضحك من حوله وينشد للوطن ولأمّهِ ويتذكر أصحابه وكأنه في رحلة خارج البلاد.



- عليك أن تدخل في عالم افتراضي الآن يا صديقي.

- لم أفهم.

- أنت الآن خارج العالم فلا تأمل في زيارة أحد لك أو حتى مكالمة هاتفية.

- لماذا؟ ماذا فعلت؟

- ليس مهماً لماذا وماذا فعلت. المهم أن تفهم أنك خارج فضاء العالم فادخل في عالمك الافتراضي الآن. تخيل أنك على سطح كوكب وأننا جميعاً رواد فضاء، أو أنَّك معنا على متن قارب في مثلث برمودا.

- وماذا فعلتم أنتم؟

- الجماعة معارضون فدمغوهم بصفة الإرهابيين.

- وأنت؟

- أنا إرهابي حقيقي.

- ماذا تقول؟

- ضبطوني متلبساً وأنا أحاول اصطياد مدرعة لجيش الاحتلال.

- يا إلهي! والآن ماذا؟

- والآن أنا في انتظار المحاكمة (العادِلة).

تماثل للشفاء شيئاً فشيئاً وظل ينتظر أن يحققوا معه أو يطلقوا سراحه. كان الوحيد الذي لا يأخذه حراس السجن إلى الغرف المغلقة ليحققوا معه، أما الآخرون فكانوا يأخذونهم ويعيدونهم وقد تورمت وجوههم وسال الدم من أجسادهم.

اكتظت الغرفة بالنزلاء شيئاً فشيئاً حتى ضاقت بهم وصار عليهم أن يناموا وفق نظام التناوب فالمكان لا يكفي لنوم الجميع.

زارتهم ممثلة حقوق الإنسان مرة فأخبرها قصته وكان جوابها أقسى من قضبان السجن:

- كلكم تدّعون البراءة
- لكني مجرد مصور!
- وهل قتلنا غير التصوير والإعلام؟
- أنا صورت حفلاً لا عملية انتحارية.
- ....

علم من أخيه لما خرج بعد أشهر أنهم دفعوا كل ما يمتلكون من مال لسجانيه مقابل إطلاق سراحه، بل واقترضوا المزيد من مال كرام الناس، لكنَّهُ لَحَظَ بسمة خفية على محيا أخيه..،

- عندي لك هدية جميلة.
- هدية؟
- كاميرا.
- لن تكون ككاميرتي الحبيبة.
- أنظر..، ما رأيك؟
- إنها هي! هيَ! لكن كيف؟
- اشتراها لي جارنا من سجانيك والمفاجأة أكبر.
- ماذا؟ أنهِ مفاجآتك فلم أعد أطيق!
- نسوا أن يُفرِغوها من محتواها، ووجدت الوزير مختبئاً في جوفها من المطر! وحراسه وهم يفترسونك!!
- إلى الإعلام أيها الوزير!

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



دموعٌ حمراء

الدمعة على خد تلك الطفلة الشقراء شفافة إلى الحد الذي يجعل تصويرها شبه مستحيل. هي يتيمة قَتل جنود الاحتلال ذويها عند نقطة تفتيش في الفلوجة وكانت الناجية الوحيدة. نظر إلى عينيها فرأى فيهما كاميرتين تتجولان في الوجوه وتصورانها ببراعة! صوّرها مائة مرة أو أكثر على مدى السنة الثالثة من عمرها والتي هي السنة الثانية على يتمها.

- خذي الكاميرا في يدك وصوري ما تشائين ومن تشائين.
- أنا صورت أكثر منك.
- من صورتِ؟
- أبي وأمي وإخوتي!
- متى يا حبيبتي؟ ومن أين لك بالكاميرا؟
- هنا، هنا، "مشيرة إلى عينيها ورأسها"، صورتهم...، دم..، دم!

وأجهشت بالبكاء حتى سالت دموعها على الكاميرا

- صورني الآن، صورني...، هيا.

صورها دامعَ العينين، وحين ظهرت الصورة ظهرت دموعها واضحة هذه المرة...،

لأنها كانت باللون الأحمر!



فسادُ الصورة

تريّث كثيرًا قبل أن يخرج لملاقاة رئيس المجلس البلدي وقد ألحّ عليه أن يصوّر ما تمّ إنجازه في المدينة التي اعتراها دمار قصف المحتلّين. فكّر في نفسه ومستقبله اللذين سيستفيدان كثيرًا من مقابلة الرجل الذي يملك من المال ما لا يُعقل! نظر في المرآة وكأنه يودّع عزيزًا على قلبه، فالمقابلة تعني الدعاية لهذا اللص الذي عرف كيف يصل إلى منصب يعني الثراء بكل تفاصيله.

كليك..، كليك..، كليك

صورة أخيرة له ولكامرته قبل التغيير الذي قد يعني نهاية مصوّر سيتحوّل بعد ساعة إلى مزوّر.

- انظر إلى الشوارع كيف أصبحت نظيفة وملوّنة بعد استلامي المنصب. صوّرها يا فنّان ليرى العالم مدى التطوّر الذي طرأ على مدينتك التي تحبّها..

كليك كليك كليك

- وَهُنا عملنا في المدارس..، أنظر كيف حوّلناها من مبانٍ كئيبة إلى أخرى ذات ألوان زاهية تجلب البهجة والانشراح إلى نفوس أطفالنا.

كليك كليك كليك

- هنا سيكون الجسر الثالث على ضفاف الفرات، صوّر الحجر الأساس

كليك كليك كليك

نظر إلى أمه نظرة المودّع وهو يبعث بالصور على الانترنت إلى وكالة أنباء عالمية. وفي اليوم التالي شغّل حاسوبه ليرى صوره منشورة على موقع الوكالة مع اسمه كاملاً تحت كل صورة.

الصورة الأولى: مطبّ كبير على باب المجلس البلدي يكاد يكون حفرةً لاصطياد الفيَلة!

الصورة الثانية: بناية مدرسة بالية صُبغت لتبدو وكأنها جديدة، لكن الكاميرا اقتنصت حقيقتها البائسة.

الصورة الثالثة: حجر أساس تحيط به أزبال متراكمة.

الصورة الرابعة: صورة لرجل طاعن في السن وهو يدفع عربة لنقل أغراض المتسوقين والعرق يتصبب من جبينه.

طُرق الباب بقوة

- أمي..، وداعًا وأكثري من الدعاء

- سمعتهم يقولون إنهم الشرطة! ماذا فعلت هذه المرة يا ولدي؟



- لا تقلقي يا أمي الغالية، بضعة شهور ومئات من الركلات وأعود.

- يا إلهي! رعاك الله ونجّاك من كل سوء يا ولدي.

خرج بعد شهرين ليجد أن صورته في المرآة كانت أجمل، وأن حال المدينة قد ساءت أكثر من ذي قبل، وأن رئيس المجلس البلدي قد انتُخب ليكون عضواً في البرلمان!

أخذ كامرته وخرج ليصوّر المدينة مرة أخرى ...

كليك كليك كليك

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



رحلة بين المنافي

سأله الضابط في نقطة العبور بين بلدين عربييْن عن محل إقامته فابتسم لجمرة أحسّها في قلبه.

أجاب: في جزيرة على ظهر حوت!

احترم الرجل صفته كإعلامي فلم يعنّفه، بل رسم بسمة بدا عليها التصنع.

- سيّدي، أين تقيم؟

-هنا وهناك، صدقني! تستطيع القول إني أعيش داخل كاميرتي هذه. أنا هنا، ألق نظرة!

ظن أن الضابط سيغضب منه لكن رغبة ما في داخله دفعته لقول الحقيقة، فهو بلا مكان وفي كل مكان..،

هو مشرد من الطراز الأول.

أحس باهتمام الضباط وهم ينظرون إليه بينما يتكلمون من خلال الهاتف وعرف أنهم يحاولون الحصول على إذن لدخوله..،

تذكر درس التاريخ ومعاهدة سايكس - بيكو وكيف يثور المدرّس حين يتحدث عنها وكأنه في تظاهرة..

- سايكس بيكو قسمتنا إلى أقطار ونحن أمة واحدة..، بل إنَّ المسلمين جميعًا أمة واحدة وليس العرب فقط، وسوف نسقط هذه الاتفاقية ونمحو هذه الحدود الوهمية اللعينة. نحن شعب واحد وأمة واحدة من المحيط للخليج..

أحس بوخزة في قلبه وهو يتذكر تشييع ذلك المدرس الذي دهم جنود الاحتلال بيته وقتلوه بدم بارد، والمتجمهرون يشيدون به كبطل من أبطال المقاومة.

تذكر أيضًا كيف اضطر هو للقفز على السور هربًا من جنود بلده الغاضبين على كاميرته والذين طرحوا أمه أرضًا بعد أن فجروا الأبواب ليقتحموا الدار.

كانت لغتهم فاسدة وحقدهم كبيرًا وكأنهم أولئك المغول الذين حكى له عنهم أستاذ التاريخ. المصيبة أنهم ليسوا غرباء! هم أبناء الوطن!

وعاد صوت أستاذ التاريخ يتردد في رأسه وهو يرى صورته في ذاكرته:

الوطن يا أولادي قلعة الدين وراية الكرامة وملاذ الحرية. لا تضيعوه فتضيعوا.

تسيل دموعه وهو يترحم عليه.

التفت إلى الضابط الشاب فإذا بشاربيه يرتعشان وهو يبلغه الخبر المألوف:

- أعتذر لك سيدي..، لم تحصل الموافقة على دخولك البلد!

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



رهبة الصفحة الجديدة

يقول الناس بعد المكاشفة والتسامح: لنفتحْ صفحة جديدة ونبدأ من جديد. يعنون هنا صفحة بيضاء لا تشوبها من الماضي شائبة غضب أو خلاف أو حتى خطأ ارتـكُب .

الدول قد تفتح صفحة جديدة بعد حرب مدمرة ودماء سالت وأرواح أزهقت. يجتمع السياسيون فيضعون أوراقهم على الطاولة ولا ينسون مقاييس القوة والضعف فيقررون أن تبدأ دولهم صفحة جديدة من العلاقات قد تكون صفحة احتلال أو استعمار أو تنازلات من الطرف الخاسر يقبلها ويوقع عليها ويتصافح الجميع ويتبادلون الابتسامات والمصافحات وربما حتى القبل!

وهكذا يتحدث الجميع عن صفحة جديدة يتخيلها كل طرف على هواه أو وفق حساباته وتوقعاته لآت مجهول.

الكاتب أو الشاعر، حين يفتح صفحة جديدة، يحس برهبة ما مهما كان متمكنًا من صنعته وممتلكًا لناصية موهبته. فالصفحة الجديدة تعني موضوعًا جديدًا له فكرة جديدة ومحتوى جديد ربما يرتقي بقيمته الأدبية وربما يكون عثرة من عثرات الطريق .

- لِننسَ أنك أخلفت كل مواعيد اللقاء بيننا إلا ذاك الذي جئتني فيه لاهثة محتاجة للعون! أتذكرين؟!أم تراكِ نسيتِ كتفي الذي بكيت عليه طويلاً فكان ملاذاً آمناً لدموع عينيك الجميلتين؟ عينيك! كم نظرتا إلى أي شيء إلا لِما في عينيّ المثقلتين بغيوم اللهفة والترقب إليك.
- الترقب والانتباه لحركاتك وسكناتك وحتى تجاهلك تجاهلك لِما أقول وما أفعل وما أريد وما أقدّم من مشاعري. مشاعري التي نظرت لها من برج عاجي أنا أشدتهُ لك لتكوني مليكتي. مليكتي التي ما أن ترسَّخَ لها حُكم قلبي حتى اضطهدته وتعالت على جراحه.
- جراحه التي وشمت قلبه أوسمة في حربه من أجل أن تكوني .. أن تكوني.

* صفحة جديدة ويوم جديد وانتظار جديد لمجهول قد يكون حبًا أو خوفاً أو خبرًا ينتهي بعده كل شيء ويتوقف القلب عن نبضه المتعب منذ سنين. منذ سنين لم تتوقف عن ممارسة جبروتها لتسحق كل معالم الحياة وتشوه كل معالم الجمال وتنهب كل مقومات ومظاهر ذلك الجمال. مظاهر الجمال التي كانت في بلدي تصارع من أجل بقاء صعب متكئةً على قلوب لها نبض خاص، فهي تنبض، على خلاف كل قلوب بني البشر،

كمجموعات وكأنها فرق سمفونية ، أو ربما فرقة سمفونية واحدة، أولها على رأس نخلة في البصرة وآخرها على قمة جبل في السليمانية ليسمع العالم ذاهلاً عزفًا لسمفونية القلوب، سمفونية القلوب التي صمدت بوجه كل أشكال القهر القادم من قلوب أخرى في كل أرجاء العالم وكان نبضها نشازاً وكأنه صادر عن طبول أكلة لحوم البشر فكانت فيها القسوة والجبروت، الجبروت الذي لم يكْفِهِ سجن قلوبنا وحصار نبضها وقهر أمانيها فتحشد ليعبر المحيطات ليجهز عليها ويسحقها ويأتي على ما فيها من بقايا حياة، بقايا حياة هي الأحلى والأبهى والأحن والأشجى و ...... يبقى نبضك نبضي يا وطني.

* يبقى نبضك نبضي يا وطني مهما سارت بي القوافل إلى غرباتي التي لا تنتهي إلا بدفني .

دفني في بقعة لا تعرفني في منفى يلفظني حيًا ويتقبلني - مرغمًا - ميتاً، ميتًا إلا من بقايا حياة تبقى بعدي في صورةٍ أو قصيدة أو بضع كلمات لأكون مجنونًا آخر يتندّر القصاصون بحكايته، حكايته التي طارت في الآفاق ليقول الناس: هذا الذي أحدبت ظهره الغربة، الغربة - بل الغربات - وأهلي كرام الناس وأرضي هيَ الأَطهَرُ في الأرضين.

* أرضي التي أنجبت ثم احتوت أولئك العظام فلم يك مخاضها إلا خيرًا ولم يك ما تحتويه إلا مقدسا.

مقدسًا عند الله والبشر فهو روح الحياة العادلة الربانية التي لا تحيد عن جادة الصواب، الصواب الذي ضاع في عالم يملؤه الزيف والجبروت، الجبروت الذي قارعه شرفاء قومي فبذلوا فيه أموالهم ودماءهم .. دماءهم التي سالت زكية على مذابح الحرية.....

مذابح الحرية التي ابتدأت مع الخلق الأول وستكون نهايته المحتومة بعد رحلة حياة قصيرة مهما طالت وتعددت فصولها، فصولها المتنوعة المتجددة في كل عام بين قيظ وقرّ وربيع وخريف يأتي على الأخضر فيجعله يابسًا ويطيح بأوراق الشجر ليتجدد فتدور دورة الحياة مرة أخرى، مرة أخرى يـهطل المطر ليروي الأرض فتخضوضر ويسقي الأشجار ليتجدد لحاؤها وتعطي ثمارها لتتجدد الحياة، الحياة التي ستنتهي مهما طال بها الأمد....

* تنتهي الحياة لتبدأ حياة أخرى كلي ثقة أننا لم نُعدّ العدّة لها، فخياراتنا فيها أقل بكثير من خياراتنا في حياتنا هذه، حياتنا هذه التي نتذمر منها ونشكو فنتأوّه من عيشنا لها وفيها هي (حياة الخيارات)، الخيارات التي تكاد تكون مفتوحة بالرغم من صعوبتها وبعض محطات الفشل فيها وتنازلنا عن بعض أمانينا كسلاً وتقاعسًا أو قهرًا من ظروف

ومقادير منعت تحقيقها، ظروف ومقادير قد نكون محقين في أنها السبب القاهر لنجاحاتنا وقد تكون شماعتنا التي نعلق عليها بعض فشلنا،

فشلنا الذي نَجم عن نجاحات وانتصارات أُجهِضَت ونرجو أن تولد من جديد.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



رؤية من زاويةٍ ميتة

صاروا يطلقون عليه التسميات: فهو متطرف، وهو متشدد، وهو يعوم ضد التيار!

يرى الأشياء بألوان غير التي يرونها بها، ويسمع الأصوات عالية مدوّية بينما يتجاهلونها ليقولوا: لم نسمع شيئاً!

ينتظرون ما لا ينتظر ويأملون ما لا يأمل.

يفتح عينيه بينما يغُطّون في نومٍ عميق.

ينتفض ثائراً لكلمة أو خبر وهم لا يحسون بشيء مما يدور.

- غيّر عدسة الكاميرا يا رجل!

سألوه أن يصمت وأن يغلق عينيه وأذنيه ويعيش مغتنمًا فرص الذهب التي يتحسرون عليها بينما ترتمي بين يديه وفي أحضانه ويتعفَّفُ عنها، سيَما تلك الكاميرا التي اتهموها بتزوير الحقائق

- وهل يمكن تزوير الصورة يا قوم؟!

أكّد لهم أن تلك الفرص ليست سوى (عِجْلٍ جسدٍ له خوار) وأن تلك التي تطربهم ما هي إلا مزامير الشيطان.

قال: أنا راحل، فهللوا للقرار!

- وخذ معك الكاميرا التي لا تصوّر إلا الزوايا الميتة!



وردةٌ أرستوقراطية

نبتة الجوري في دار الأثرياء في الحي المجاور نادرة وهو ينتظر الربيع ليصور مراحل تفتح زهرتها كل عام.

هي حمراء يطغى عليها سواد يضفي عليها سحراً خاصاً وغريباً. تصويرها يعني له طقساً يوثق من خلاله الولادة ثم الحياة ثم الموت.

ذهب كعادته كل عام ليصورها وهي تتبرعم وفرح حين وجد شجرتها منتعشة بأنفاس الربيع.

كلك كلك كلك

تنفس الصعداء وكأنه تنفس من خلال عدسته أنسام الولادة الجديدة وعطر ربيع متجدد وأمل في حياة قد تكون أفضل.

داوم على المرور اليومي لتسجيل نمو برعم زهرته المفضلة ثم تفتحها البطيء الجميل وكأنها تتدلل عليه أو ربما لا تستعجل التفتح الذي لا يليه إلا الذبول والرحيل عن الحياة.

كان يلقي التحية إيماءً على سيدة تعنى بالحديقة كلما جاء ليلتقط صورة جديدة وكأنه إيحاء منه بطلب الإذن منها.

"آخر شيء أفكر فيه هو أن أسمح لوجهك المتجهم بالمرور عبر عدسة كامرتي"!

تمرّ الأيام وتنمو الزهرة ويزداد عدد الصور ليزداد معها شعوره بالغبطة والحياة الربيعية البهية في داخله فهي الشيء الوحيد الذي ينبض بالحياة وسطَ عالم بدا وكأنه يقتل نفسه بيده.

تنظر إليه تلك المرأة وكأنه متسول متكرر الزيارات، وتبدو كأنها ملّت وجهه أو صوت كاميرته، لكن النظر من خلال العدسة لقطرات الندى على الزهرة التي أينعت تستحق تحمل نظرات الإذلال والريبة.

"يا لك من مخلوقة مزعجة"!

صارت قصته مع الوردة ذات شهرة محلية وصار الناس يسألونه عنها:

- ما أخبار وردتك؟ (سألته أمه)
- غداً يوم أوج تفتحها وسأريك صورتها ولن تلوميني على اهتمامي بها.
- تمنيت لو ان اهتمامك هذا كان بفتاة تتزوجها وتنجب منها علّك تستقر.
- جدي لي فتاةً بندرة وردتي وسأدفع عمري مهراً لها.



- الورود مصيرها الذبول يا ولدي.
- والزوجة ونحن إلى ذبول يا أمي.
- لكن الزوجة قد تنجب فتستمر الحياة في ذريتكما.
- سأتزوج يا أمي، سأتزوج حين يحين وقت الزواج.
- هداك الله أيها العنيد.

في اليوم التالي وقف أمام الدار في ذهول وسأل نفسه بصوت عال:

- أين هي؟ ماذا حصل؟

وجاءه الجواب من السيدة المتجهمة على هيئة سؤال:

- أتفتش عن الجوريّة؟
- أجل، أين هي؟
- لقد نقلتها إلى مكان آخر
- أين؟
- تعال وانظر كم هي جميلة.

دخل معها إلى صالة الدار فإذا الوردة في زهرية من الكريستال تزين المكان!

- قطفتِها؟



- هي تنتمي هنا في نهاية المطاف.

- لكن...، يا إلهي

- عجيب أنت أيها المصوّر! عرفناك مقاتلًا بكامرتك التي تقتنص بها صور المحتلين وجرائمهم، فما شأنك مع الورد؟ اذهب وطارد العربات المدرَّعة والجنود الخائفين ودَعني أسترح من تجاهلك لي ومن صوت كامرتك المزعج وكأنّه نذير شؤم.

- ....

كلك كلك كلك

- حتى هنا تصورها؟

- لقد استعجلت عليّ وعليها مشهدنا الأخير.

عاد للدار ليسمع أغنية عراقية قديمة تقول كلماتها:

وردة سقيتها من دمع الجفون .. صارت بالحسن فتنة للعيون

انقطعت من غصنهـــــــــــــــا .. ضيعت كل حسنهـــــــــــــــا

وردة .... وردة

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



المصوّر الصغير

طلب منه أخوه الأصغر ان يصوره وهو يلعب كرة القدم مع فريق المدينة. ومع أنه لا يحب المدرب الذي كان معلِّمَه في درس الرياضة، إلا أنه لم يستطع رفض طلب أخيه الصغير.

بدأ بتصوير الجمهور المتحمس فالتقط بضعة صور لوجوه ملؤها التعبير عن الحماس وتعمدَ تجاهل الذين رسموا على خدودهم شعارات بألوان سخيفة.

لفت نظره طفلٌ صغير ظل محدقاً في الكاميرا وكأنه يعاتبه لأنه لم يلتفت إليه! شعر أن خديه الممتلئين ملآ الكاميرا وأن أنفه الصغير لن يظهر في الصور العديدة التي التقطها له من زوايا عدة، لكن الطفل ظل محدقاً في الكاميرا بعد انتهائه من التصوير!

- أيمكن أن أطلب منك أن تصورني؟
- أنا لست مصوراً ولا أعرف كيف التقط الصور.
- لا تهتم، هي عملية بسيطة. انظر.. عليك فقط أن تضعني في هذا المربع وتضغط على هذا الزر.
- ولن تغضب مني إن أفسدتُ الصورة؟
- لن أغضب منك.

أمسك بالكاميرا وكأنه يتأمل صندوقاً مسحوراً. شدد عليها قبضته وصوبها باتجاه المصور باهتمام..،

كلك كلك كلك

ثم غير مكانه مرة ومرتين وثلاثا وهو يلتقط الصورة تلو الصورة والعرَق يتصبب من جبينه الناعم.

- ممتاز! سنرى إن كان تصويري أفضل أم تصويرك.

- لا تسخر مني فهيَ أول مرة أمسك فيها الكاميرا. لكني أحب التصوير وسأصبح مثلك يوماً ما وسترى.

- لم لا؟ أظن أنك ستكون أفضل مصور. ما اسمك وأين تسكن؟ أريد ان أجلب لك نسخ صورك.

- تجدني هنا، انتظر، سآتيك بشيء تشربه.

ذهب إلى صندوق مشروبات خفيفة وجاءه بعلبة عصير.

- أنت تبيع المشروبات هنا إذن؟

- نعم، أنا أعيل أمي وأختيّ الصغيرتين.

- ما شاء الله! رجل في الثانية عشرة من عمره.



- بل الرابعة عشرة سيدي. أنا أبدو أصغر من سني.

- يبدو أننا سنكون أصدقاء.

- ستكون معلمي في فن التصوير إن رضيت، وسَأَدفع لك أجرك.

- بالتأكيد! كن واثقاً من ذلك.

خسر فريق أخيه بثلاثة أهداف مقابل لا شيء لكنه لم يحزن فهو قد التقط ثلاث صور للمدرب الخاسر أسعدته كثيراً. كما إنه صوّر أخاه وآخرين من الفريقين وهم يبدعون في اللعب، وجمهوراً هائجاً مبتهجاً وكأنه ربح معركة بينما على الجانب الآخر وقف النصف الآخر من الجمهور خاسراً مقهوراً.

مرة أخرى يجتمع النقيضان في صندوق صوره.

ضاع صوت الكاميرا الجميل وهي تلتقط الصور في ضجيج الملعب، لكن صورة صديقه الجديد كررت الحضور في ذاكرته وكأنها تخرج له من الكاميرا وحرص على أن يجده ليوصله بسيارته إلى المدينة.

ظل يحدثه طوال الطريق عن أبيه الذي كان شجاعاً وجميلاً وحنوناً وكل الأوصاف الجميلة التي يمكن أن يتصف بها رجل! لكنه استغرب كثيراً لجلادته وهو يروي قصة موته.

تمنى لو كان صوّر تلك اللحظة التي هجم بها على الجنود بمفرده بسكين لأنهم تحرشوا بزوجته. ثم تمنى لو كان هناك ليهجم عليهم معه.

"تُرى هل كنت سأسانده أم كنت سألوذ خلف كاميرتي؟"

- أنزلني هنا، هذه أمي تنتظرني.
- هل هذه المرأة المنقّبة أمك؟
- نعم سيدي، فهي تنتظر عودتي كلما ذهبت للملعب. المسكينة تظنني ما زلت صغيرا!
- لماذا لم تأت بالباص يا ولدي؟ الباص آمن لك من سيارة الأجرة وأرخص كلفة.
- هذا معلمي يا أمي، وسيعلمني التصوير.

بدأ الصوت يتلاشى لما أغلقا باب الدار الصغير. "ما أجمل عينيها! صورة أخرى مستحيلة! يا إلهي!"

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



الصيدُ الثمين

غيَّر عدسات الكاميرا وخرج.

وقف على ناصية الشارع مراقباً السيارات والمارة دون أن يلتقط صورة لشيء وصار العرق يتصبب من جبينه حتى يدخل عينيه ليحرقهما بملحه.

مرت أرتال المدرعات فتوقفت الحياة في الشارع عدا نبض القلوب الذي بدا عالياً مسموعاً. بعضها نبضت خوفًا ومعظمها نبضت غضبا.

أمسك بالكاميرا وكأنه يعتصر منها صورة ما. خرجت سيارة سوداء من شارع فرعي..، تأهبت الكاميرا ..، صار قلبه ينبض بوتيرة أسرع..

- هيا يا شباب، هيا .. همسها في سره

صار صوت نبض قلبه يمتزج مع صوت الكاميرا ..،

كِلِكْ .. كلِكْ ..كلِكْ

صوَّر كل شيء..،

شبابًا يطلقون صاروخين،

ومدرعتين تلتهمهما النار،

وأُناسًا يهللون فرحًا ويُكبّرون.



- أمريكان..، اهربوا
- ولماذا نهرب نحن؟

جاء التحذير متأخرًا فوقع في الفخ.

كان الكيس الذي غلفوا به رأسه خانقاً والكهل الذي إلى جانبه يكاد يموت اختناقًا.

- تماسك يا أخي فلم يبق إلا القليل ونصل القاعدة وهناك سيرفعون الأكياس عن رؤوسنا.
- لماذا جاؤوا بك؟
- لا لشيء إلا لأني كنت في الجوار. أنت سائق سيارة الأجرة، أليس كذلك؟
- نعم وقد وضعوا في سيارتي ألف ثقب لكن الله نجاني.
- حمدًا لله على سلامتك. استمر في الحديث لكن اخفض صوتك كي لا يسمعوك فيظنون أنا نخطط لشيء.

كانت أقسى الضربات تأتيه من المترجم العربي الذي كانت شتائمُهُ أقسى من ركلاته الحاقدة، لكنه سرعان ما تركه وذهب ليعذّب سائق سيارة الأجرة الكهل.

تلذذ بأكفّ الجنود وهي تنهال عليه صفعاً فالمهم عنده أنه حقق الهدف وأعطى الكاميرا لصبيٍّ فرّ بها هارباً.

- أية كاميرا يا مستر؟! لا أدري عمّ تتكلم!

- كاميرا كاميرا، أنتا كاميرا وين؟

- نو كاميرا، نو كاميرا، آخ .. آخ يا خنزير.

- فك يو باسترد!

لم يكترث للجوع الشديد والعطش الذي كاد أَن يكون قاتلاً. ففي داخله سعادة امتلاكه لتلك الصور. "لقد اصطدتكم يا كلاب".

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



عاشق

قال لها إنه أحب غيرها بعد أن ناله من صدودها العذاب والهوان.

كان غاضباً إلى الحد الذي جعله لا يستطيع أن يعمل لأن كل الصور من حوله اكتنفها الضباب وأحياناً الدخان الأسود.

- أعطيتك أجمل ما عندي يا امرأة! ولم يعد عندي ما يعطى فماذا تريدين؟

- لم تهملينني حينما أكون في أمسّ الحاجة لك؟ وماذا طلبت أكثر من أن نتحدث ولو خارج نطاق المشكلة التي أعانيها؟

- هل يصعب عليك أن تحدثيني ولو على الهاتف؟! تتركينني لتكلمي زميلة طالما قلتِ أنت عنها إنها تافهة ولا تصلح أن تكون صديقة! لماذا بربك؟!

صمتت وكأنها جدار لا ينطق بينما استرسل في شرح معاناته وغضبه والعرق يتصبب من جبينه بينما جف فمه واحمرت عيناه.

- لِمَ لا تجيبين؟! أحدثك منذ ساعة وأنت صامتة! بربك كفاك إهانة لي وقولي شيئاً!



- أواثق أنت من حبك لي؟
- ماذا؟! ماذا تقولين؟! كيف تسألين عن حبي لك؟ أفلا ترين كم أتعذب؟!
- اخفض من صوتك فالجميع في المقهى انتبهوا لنا.
- أهذا كل ما يهمك؟! الناس من حولنا؟! يا إلهي!!!

صمت وعاد إلى التدخين وشرب الكثير من الماء وهي مصرة على صمتها.

فاجأته بأن مدت يدها إلى كامرته وصارت تلتقط له الصور من زوايا متعددة وكأنها مصور محترف.

كلك كلك كلك

ثم بدأت تضحك بهيستيريا وربما باستهتار.

- آن الأوان ليصورك أحدهم متلبساً يا صديقي!
- كلك كلك كلك
- متلبساً بماذا؟
- متلبساً بالتمثيل والكذب يا صديقي العزيز.
- كلك كلك كلك



- أنا؟! مم ماذا تعنين؟!

- كلك كلك كلك

- أعني صديقتي التي تواعدها وتقضي معها أحلى الأوقات يا.... حبيبي!

- كلك كلك كلك

- من أخبرك؟!

- كلك كلك كلك

- وعن ابنة عمك التي يرتب أهلك لتزويجك منها أيها الـــ وفي!

- كلك كلك كلك

- من قال لك كل هذا؟!

- كلك كلك كلك

- وعن الصحفيَّة الكندية الشقراء فارعة الطول التي تصرّ على أن تكون مصورها كلما زارت المنطقة!

- كلك كلك كلك

- لكنني أحبك أنت! انت لا إحداهنّ!



- **كلك كلك كلك**

وضعت الكاميرا على الطاولة وظلت تضحك وتضحك وتضحك حتى انفجرت بالبكاء وتركت المكان مسرعة.

صاح نادل المقهى: اهرب أستاذ...، أمريكان

تسمّر في مكانه وهو يضحكُ ألمًا لتُهم حبيبته التي لا أساس لها! بينما أحاط به الجنود وانهالوا عليه شتائمًا وأسئلة.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



هـــوَس

لاحظ صديقه حزناً عميقاً مرتسماً على قسمات وجهه، فهو ليس ذلك المصور النشط الذي يجوب الشوارع كالصياد في بادية.

- ما بك يا صديق؟ حدثني عما يزعجك، بل يؤلمك.
- سأجن يا رجل! فأنا أصارعُ المستحيل.
- وهل نقدر على مصارعة الواقع حتى نتخطاه للمستحيل؟ ماذا دهاك؟
- أريد أن أصورها، سأجن!
- ولم لا تصورها؟ أنتما تلتقيان!
- لكن هنالك الكثير مما لا أستطيع الوصول إليه.
- أراك لست بريئاً هنا، ما الذي تريد الوصول إليه ولا تستطيع أيها الخبيث؟!
- ليس ما تظن لكنه ليس بريئاً على أي حال.
- هات ما عندك ولا تتفلسف ففي أذنيّ حاجز يمنع الكلام الثقيل من الدخول إلى تجويف رأسي.



- لا تهتم، دعني أخُضْ هذه المعركة وحدي.
- أنا المذنب إذ أهتم لهلوساتك المجنونة، لكني أحذرك فالذي يبدو على وجهك قد يكون خطراً.

صار منجذباً إلى سريره أكثر مع أنه لا يستطيع النوم.

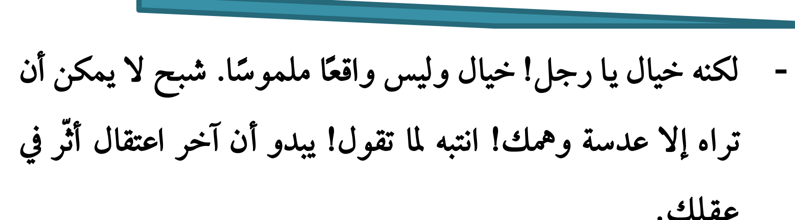
"كيف أُصوّر مخيلتي؟

أنت فقط ولا أحد أو شيء غيرك!

صورك في مخيلتي كيف أنقلها عبر عدستي إلى الكاميرا ثُمَّ إلى الورق؟!"

صار تصوير مخيلته هاجسه الكبير حتى أصبح على يقين أنه يعاني ضرباً من الجنون، ولم يجد بداً من إخبار صاحبه برغبته المجنونة.

- ماذا؟ تصور مخيلتك؟! يا إلهي! لقد جننت ولم يعد بوسعي إلا أن أقتادك إلى طبيب نفساني!
- لم لا؟ هي صور حقيقية يا صديقي. هي هناك ترقص حتى تكاد أقدامها تخطو على الهواء والماء، وهي هناك تهمس في أذني بكلمات ليست كالكلمات. وأنا هناك سعيد يا صديقي، سعيد بها للكلمة من معنى!



- لكنه خيال يا رجل! خيال وليس واقعًا ملموسًا. شبح لا يمكن أن تراه إلا عدسة وهمك! انتبه لما تقول! يبدو أن آخر اعتقال أثّر في عقلك.

- أعرف أنك محق فيما تقول لكن رغبتي تبدو حقيقية وفي متناول يدي.

- اسمع، اذهبا إلى مكان يمكن لكما فيه أن تقتربا من ذلك الجنون في مخيلتك. سافرا إلى مكان تتحرران فيه من واقعكما. تزوَّجا وكونا واقعًا بدل هذا الخيال المحموم.

لم يعد بوسعه أن يحلق ذقنه أو يخرج إلى الشارع كما كان يفعل.

صار لا يريد أن تراه على تلك الحال ولا حتى أن يرى صديقه الصدوق.

- هل أنت غاضب مني؟

- أغلقي الهاتف ودعيني أكمل عملاً مستعجلا.

- أي عمل؟ أعرف أنك معتكف ولم تعمل منذ مدة..، ما بك؟

- أنا مُتعَب.

- ممّ؟ منّي؟!



- منك؟ لا لا أبداً.

- إذن فتعال وخذني في جولة في المدينة.

- جولة في المدينة؟ مستحيل.

- أرأيت؟ أنت غاضب مني إذن.

- أقسم أني لست غاضباً منك. أنا في مشكلة.

- أعرفها فقد أخبرني صديقك.

- إذن فأنت تعرفين فلا ترمي اللوم على كاهلك. أرجو المعذرة، سأغلق الهاتف.

جاءه أخوه الصغير متظاهراً بحاجته لمساعدته في مادة الرياضيات. حاول أن يطرده بلطفه المعهود لكن أخاه أصرّ على البقاء في الغرفة والتحدث إليه.

- لكنك تعلم أني ضعيف في الرياضيات.

- اسمع من أخيك الصغير وسترى أن الحل يسير.

- حل ماذا؟

- الحل لمعضلتك.



- أية معضلة؟

- أدخل الكاميرا في خيالك.

- ماذا؟ أية كاميرا وأي خيال؟

- لا تغضب مني فقد سمعت بعض ما دار من حديث بينك وبين صديقك.

- وهل ترى حلك مقبولاً؟

- إذا كان طلبك مقبولاً فحلي مقبول!

- حسناً سأحاول.

- خذ التلفون.

- لماذا؟

- اتصل بها.

- بمن؟

- يا أخي اسمع كلام الأصغر منك ولا تك عنيداً. تكلم فقد طلبت الرقم، هيا.

- مرحبا.

- ....

- سأوافيك بعد ساعة في نفس المكان.

- وشغلك المستعجل؟

- لقد وجدت له حلاً.

حاول أن يطبق حل أخيه الصغير فيدخل الكاميرا إلى خياله، فكلما خطرت له صورة جميلة تخيّل أنه يلتقط لها صورة،

كلك كلك كلك

ثم تنزل من عينيه دمعتان باردتان.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



انتحــــــار

سافر هربًا من ملاحقة الشرطة له وتربصهم به بعد أن نصحه أصحابه بالابتعاد قليلاً، وتركيا هي الحل.

للبحر صور تتغير كل لحظة، ولكل موجة ملامحها التي لا تشبه ملامح غيرها وكأنها بصمات الأصابع. اصطحب معه الكاميرا القديمة ليصوّر متقمّصًا من سبقوه من مصوّري العالم.

كلك..، كلك..، كلك

ظل يصوّر الموجة تلو الموجة حتى أحس بدوار رهيب، فالبحر كان مضطرباً ذلك اليوم.

عاد لغرفته وهو يشعر أن البحر كله صار داخل كاميرته.

انتظر تظهير الصور بفارغ الصبر حتى أنه نسي أنه لم يأكُل طوال اليوم.

كاد يرمي ببعض الصور إلى سلة المهملات لولا أنه رأى ما لفت نظره. فتاة واقفة على الشاطئ تستقبل الرذاذ الهائل للموج!

"يا إلهي! هل رمت بنفسها إلى البحر؟ هل هي بخير؟"

شغل التلفاز متخوفاً من أن تكون تلك الفتاة السمراء خبرها الرئيسي.

"يا إلهي! كيف لم ألاحظها؟ لربما كنت أنقذتُها."

كان أمر انتحارها شبه مؤكد في تفكيره المصاب بدوار البحر، وكل ما تبقى هو أن يسمع الخبر أو أن يذهب للشرطة لكي يخبرهم أنها ربما غرقت دون أن ينتبه لها أحد.

صحا في صباح اليوم التالي ليذهب بسرعة إلى الشاطئ فنشرات الأخبار انشغلت عن قصة الفتاة بالانتخابات المحلية والشجارات بين المرشحين الذين شككوا جميعاً بنزاهتها.

أجال نظره في المكان ليطابق المشهد مع مكان توقفها في الصورة.

"إنها كانت هناك..، يا إلهي! يا إلهي! من هنا قذفت بنفسها للبحر"

وبينما كان ينظر إلى صورة قوامها الممشوق الذي يدل على عمر لم يتجاوز الخامسة والعشرين، تخيلها وهي تهوي بنفسها إلى موج البحر المضطرب كأفكاره.

رأى قطعة قماش طافية على وجه البحر يشبه إيشاربها،

"يا إلهي! يا إلهي! لماذا فعلت ذلك يا فتاة؟! وكيف لم أنتبه لوجودك؟!"

وبينما كان يلتقط صورة لقطعة القماش الطافية فاجأه صوت فتاة بدا عليه التعب:



- أما زلت تصور الموج؟

جفل وكأن الموت هو من كان يخاطبه، والتفت ليرى فتاة متعبة الملامح ترسم ابتسامة متعبة هي الأخرى..

- عفواً، من أنت؟
- كنت أراقبك وأنت تصور البحر البارحة.
- أنت؟ أنت صاحبة هذه الصورة؟!
- يا لله! هذه أنا فعلاً! هل لي أن أحتفظ بهذه النسخة؟
- بالطبع، هي لك يا من أقلقت ليلتي وأرعبتني. حمداً لله على سلامتك.

حدثها عن شكوكه وحدثته أنها تهرب للبحر من بيتها وعملها وصخب المدينة. أنكرت في البداية رغبتها في الانتحار لكنها عادت فاعترفت له أن نفسها تحدثها دائماً في قفزة أولى – أخيرة للبحر قد تريحها من حياة لم يعد لها معنى بعيدًا عن الوطن الضائع.

- أنا أخبرتك قصتي، ولكن لماذا أنت هنا وتتحدثين عن النفي؟
- أنا بنت عائلة معروفة وهربت من نائب في البرلمان
- وماذا سرقتِ منه؟



- سرقت قلبه الأسوَد
- بربك لا تمازحيني كما أمازحك
- والله، كما قلت لك. اللص رآني فأحبني وصار يلاحقني فهربت.
- ولمَ لَمْ تتزوجيه؟
- أنا أتزوج من لص؟

" ما أعمق النظرة في عينيك! وما أجمل نبرة صوتك! وما أسمى موقفك"

- ما رأيك أن نرمي بقلبينا للبحر ونجرب أن ندع لهما فرصة في التلاقي على موجه!
- ههههه.. تعال نجرب.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



شادي الحرّيّة

لم يكترث لحشد الرجال المتأنقين والنساء المتبرجات على أَكمل وجه ولا حتى للَّوحات الفنية زاهية الألوان في المعرض الفني للرسامة الشهيرة والجميلة جداً. سمع دندنة العود فتبع مصدرها ليجد عوّاداً كهلاً يعزف والكل لاهٍ عنه بتجاذب أطراف الحديث وتناول ما لذ وطاب من الحلوى والمشروبات المنعشة.

- إنهم لا يسمعونك.
- أنا معتاد على ذلك فلا تهتم.
- لا أظن ذلك فالألم يتصبب عرقاً من جبينك.
- هل أنت صريح هكذا دائماً؟
- أتسمح لي بتصويرك؟
- إذا أعطيتني صورة مجانية فلم لا؟

ركّز عدسته على جبين العازف ليظهر نوعين من التجاعيد، أحدهما ناجم عن تقدمه في السن والثاني عن الحَرَج والألم لأن الناس لا يعيرونه اهتماماً.

كلك كلك كلك

ثم على يديه المرتجفتين اللتين زادهما الحرج من الكاميرا توتراً وارتجافاً.

كلك كلك كلك

أشار عليه أن يغني فبدأ يدندن بأغنية قديمة حزينة ارتجفت لغنائها شفتاه..،

كلك كلك كلك

- كل هذه الصور لي؟
- أنت تستحق أكثر من مجرد صور
- جبر الله بخاطرك
- ليس الموضوع جبر خواطر يا رجل، بل هو تقدير لموهبة تستحق.

لم يكن تقديراً لموهبة كما قال للعواد، لكنه كان تعاطفاً إنسانياً فهو يكره أن يرى أَحدهم مهملاً.

أخذ رقم هاتف العواد وسلّم على صاحبة المعرض التي أصرّت أَن يصوّرها ولوحاتها كما وعد ففعل وصوّر ايضاً بعض الوجوه التي رآها بلا ملامح وخرج.

- أيها المصوّر



التفت ليرى شقراء فاتنة تناديه..،

- نعم، تفضلي، أي خدمة؟

- وددت أن أحدثك قليلاً

- عن ماذا؟

- عنك وعني وعن الصور.

- هل يفترض بي أن أعرفك؟

- أعلم ضعف ذاكرتك التي تحولت من رأسك إلى عدستك!

- أنا واثق الآن أنك تعرفينني!

ذكّرته بأيام الجامعة وكيف كانا كلما اقتربا من بعضهما حصل شيء يفرقهما أو يوقف عجلة تقدّم العلاقة بينهما على الأقل.

صارت الذاكرة تعود إليه فيوشك أن يكره نفسه..،

"كيف لم أتذكّرك يا رؤى؟"

- رصدتك منذ لحظة وصولك الأولى وسمعت ما دار بينك وبين العواد.

- أنت راصدة ماهرة منذ عرفتك.



- ألم تر شيئاً من ملامحه يشبهني؟

- ماذا؟ يشبهك؟

- نعم يشبهني.

- لماذا يشبهك أنت بالتحديد؟

- لأنه أبي

- أبوكِ إنسان رائع أكاد أحسُّ عمق شعوره الحزين

- أبي إنسان ضائع

- كيف؟

- منذ حرروه من سجن (أبو غريب) وهو حزين

- وكيف ذاك؟ أليس غريبًا أن يحزن لأنه نال حريته؟

- يقول إنه الآن في سجن أكبر

- أفهمه

- تفهمه؟ أنت منحرف التفكير مثله إذن!

- هؤلاء سجنوا وطناً بأكمله ونحن داخل قضبانهم.

- مم..، يبدو أني أفهمك وأفهمه، لكن عليكما التعايش مع الواقع



- **تعالي نعُد إليه ونشاركه الغناء**

- **وماذا ستطلق عليه من تسميات؟**

- **إنه شادي الحرّية..**

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



عُـــــرس

ليس مغرماً بتصوير الأعراس والحفلات، فهي تفتقر لِحِسِّ اللحظة وتفرُّد اللقطة.

الكل يمارسون نفس الحركات ووجوههم تضحك بهمجية تشوه الصورة. تشابُهٌ في التعبير يجعل الصورة مبتذلة.

مرّ موكب عرس في الشارع والكاميرا متوثبة في يده في انتظار لقطة ما،

شعر وكأن الحركة قد توقفت في المكان وأن الجميع تبلدت ملامحهم إلى أن رأى فتاة في إحدى سيارات الموكب.

يا إلهي! نظر إلى وجهها من خلف زجاج نافذة السيارة فقرأ قصة غامضة التفاصيل. أحس بنظرتها تلتقي مع بؤرة عدسة الكاميرا في يده

"ترى، ماذا تريدين أن تخبري الكاميرا أيتها الفاتنة الحزينة؟!"

طلب من صاحبه أن يقلّه بسيارته لمرافقة موكب العرس.

-كسرت القاعدة؟ لماذا؟

-هناك من أريد أن أصورها.

- من؟



- لا أعرفها، لكنني أتوق لتصويرها.

- ماذا لو رفضت؟ وماذا لو ثار ذووها في وجهك؟

- وماذا لو أقنعتهم بتصوير الحفل مجاناً؟!

- مجنون، هيا بنا.

لم يفُته أن يصوّر رتل المدرعات التي أوقفت موكب العرس لساعة ونصف الساعة.

صوّر وجوه الجنودِ الصفراء الخائفة والأصابع المرتجفة على الزناد،

وصوّر وجوه الشباب الحانقة،

كما صوّرَ المترجم الذي ترك عمله وصار ينظر للنساء.

في الفندق عرفه أخو العروس فرحب به،

- قالوا إنك لا تصور الأعراس.
- لكل قاعدة استثناء وأنت غالٍ عليّ!
- ممتن لك وسأدفع لك ما تشاء.
- من تكلم عن الدفع يا رجل؟!

"يا لك من دجال".. همس صاحبه في أذنه.

دار يصور ما لا يحب لكن ببراعة الفنان الذي يحاول خلق شيء من لا شيء.

كان يفتش عن ذلك الوجه الذي رآه من خلف زجاج السيارة لعله يصور القصة المختبئة وراءه.

" لماذا وبماذا كنتِ مختلفة عنهم يا فتاتي؟"

أحس لبرهة أنه نسي شكلها وانه لن يعرفها إن رآها. اضطرب نبض قلبه وتجهم وجهه،

"كيف أتعرف عليها إن رأيتها؟ ما أغباني!"

ظلت عدسته تصور الوجوه والأجساد على عجل،

كلك كلك كلك!

أحس وكأن الكاميرا كانت تبتلع وجوههم وأجزاء من أجسادهم المتمايلة طرباً.

" أين أنت بالله عليك؟ هل انشقت الأرض وابتلعتك؟!"

أصابع خمس اعترضت الكاميرا، مد يده ليزيحها بغضب،

- أنت!



- من أنا؟ ما بك؟

- عفواً، لا شيء، أردت فقط ان أصورك فهو عملي. "

- لكني لا أحب التصوير ولا المصورين، شكراً لك.

- تأكدي أن أحداً لن يراها غيرك

- وماذا عنك؟

- ماذا عني؟

- ألن تراها؟

- هذا عملي يا آنسة

- قلت لك شكراً، لا أريد.

توقف عن التصوير وظل يحدق في وجهها منبهراً بما تخفيه ملامحه من حكايات. ولم ينتبه إلا وصاحبه يربت على كتفه:

- ما بك؟

- لا شيء، دعنا نذهب من هنا.

- والحفل؟

- تعطلت الكاميرا.



- حسناً، هيا بنا إذن.
- بإذنك آنستي وأرجو ألا أكون قد ضايقتك بشيء.
- إلى أين؟ الا تريد أن تصورني؟
- ....؟
- ما بك؟ أَوَليسَ هذا عملك؟
- بل هو عملي ويسعدني القيام به.
- كلك كلك كلك كلك ..،
- بدأت الكاميرا تتحدث بل وتغني وتعزف الألحان!
- ظننت الكاميرا قد تعطلت يا فنان!
- اسكت أنت! لقد أصلحتها.

خرج من الحفل وكأنه اصطاد العالم باسره ووضعه في كاميرته.

- هل عرفت من تكون آسرتك؟
- كلا، أتعني أنك تعرفها؟
- ومن لا يعرفها؟ إنها بنتُ رجلٍ يحبه الجميع.
- توقف! لا تخبرني، دعني أستمع لما تقوله الصور أولاً!

وكانت ليلة استمع فيها لألف قصة وقصة حكتها له عيناها وكأنه سندباد يكتشف في كل لقطة جزيرة.



قرينة الشبح

في إحدى رحلاته لعمّان كان يلجأ لمقهى يلتقي فيه فنانون وأدباء وشعراء من بلدان العرب كافة.

نظر إلى النادلة وهي تبتسم فرأى لوحة فنية نادرة. هي توزع ابتساماتها بالتساوي على الجميع لكنه رأى خصوصية في نظرتها إلى الكاميرا التي وضعها على الطاولة.

-أتحبين التصوير؟

- كل الناس يحبون التصوير يا أُستاذ

ردت عليه أسارير وجهها أكثر من كلماتها وكأن أكاليل فرح صارت تقفز وتترنم.

-لك مني صورة مجانية متى شئت

-هل أعتبر هذا عربوناً لشيء ما؟

-بل هو عرض لصورة مجانية لا أكثر، على أن تعيدي نفس البسمة على محياك.

- أنا مبتسمة دوماً فاطمئن، لكني كما ترى في عملي وابتسامتي جزء منه.

- وعرضي لك أيضاً جزء من عملي فلا تظني بي الظنون.

غادرته بسرعة لتعود إلى ضيوف المقهى بابتسامتها الجميلة التي تعلقت بها قلوب الرجال.

"آه لو تمكنت من تصوير ما في قلوبكم أيها الرجال الخبثاء!"

انتبه ليد دُسّت في سترته ففهم وتظاهر بعدم الانتباه. انتظر قليلاً فمد يده ليقرأ قصاصة ورق مكتوب فيها موعد اللقاء في الطرف الآخر من المدينة الكبيرة.

آلمه أن يراها وقد تأنقت وتبرجت وكأنها سيدة ثرية تتباهى في حفلة عرس. وانتبهت إلى عدم الارتياح الذي حاول أن يغطيه بابتسامة مجاملة.

- أنت غاضب
- وأنت فتاة ذكية.
- فالتغيير لم يرق لك إذن؟
- بصراحة، لا
- أجّل التصوير لمرة قادمة إذن ولنتحدث عني وعنك
- ستملين مني فأنا قليل الكلام



- وأنا ثرثارة بامتياز

- مقاعد الخيزران في ذلك المقهى رائعة

- أيها الكسول

تجاوز غضبه بعد أن شرحت له إلحاح شريكتها في الغرفة عليها أن تظهر بمظهر لائق لمقابلته وهو المصور الفنان. تحدثت طويلاً عن رحلتها في الحياة إلى أن بدأ الدمع يتلألأ في عينيها.

- اعتقلوك؟
- كانوا يطاردون خطيبي المتهم بالإرهاب مع أني كنت قد هجرته
- إرهاب؟ تعنين أنه كان مقاومًا لهم؟
- أجل، وكان شبحًا معروفًا
- شبح معروف؟ تعبير يشي بالكثير
- إنه القناص الشهير باسم قناص بغداد
- ....
- أنت تتساءل كيف آل بي الحال لهذا العمل، أليس كذلك؟ صحيح يا سيدي أني نادلة لكني لستُ عاهرة فلا تُمِلِ على مخيلتك بشيء. أحسستُ أني بأمان معك فقبلت أن أراك لأرى فيك وطنًا وأهلا.
- وأنت لا تفترضي ما ليس بواقع.



صمتا لبرهة ولم تشعر به وهو يمد يده ليلتقط الكاميرا

كلك كلك كلك

وبلا شعور منها ابتسمت فامتزج الضحك بالبكاء ليكون موضوعاً للوحة أخرى من لوحاته

كلك كلك كلك

صار يتردد على المقهى كل يوم فلا يجدها بعد أن غابت عن موعدهما التالي فسأل زميلتها

- نحن يا سيدي كالغجر لا نقرّ في مكان، ستجدها في مقهىً آخر تبتسم لأناس آخرين لتعود فتذرف دموعها في وحشة غرفتها حتى تنام
- دليني عليها أرجوك
- هل أجلب لك قهوتك المعتادة؟

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘

.



سامية

يحدثها لساعات من خلال الإنترنت وهو لم يرها قطّ. تعارفا من خلال منتدى ضمهما مع مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء والأدباء العرب والجميع يكتبون في السياسة ويدونون المآسي شعراً ونثراً، وأحياناً يكتبون في الحب!

كانت معجبةً بموقفه من الاحتلال الأميركي لبلده وملاحقته لجنوده ليوثِّقَ جرائمهم والمصائد التي ينصبها لهم المقاومون، وكذلك حملاته لنصرة النازحين والمتضررين من القصف والتخريب.

عرفها بمرور الأيام أكثر وأكثر وأخبرته أنها سيدة متزوجة في الأربعينات من عمرها والغريب في الأمر أن محل سكناها لا يبعد كثيراً عن سكنه في منفاه.

"تحن لك العدسة يا سامية لكني أخشى أن تسيئي فهمي"!

تطور الوضع بينهما ليكون صداقة من نوع خاص على الرغم من التباعد الكبير بالأفكار بينهما في العديد من المسائل.

غابت فجأة عن الشبكة فقلق عليها كثيرًا إلى أن وصلته منها رسالة على بريده الإلكتروني.

- أنا آسفة لعدم التواصل لأني كنت مريضة!



كان رده سريعاً لكيلا يفوّت فرصة تواجدها على الشبكة:

- سامية! ما بك؟ أنا قلق جداً وأريد أن أفهم وأن أساعد بشيء!

- لا عليك فزوجي والأولاد يقومون بالواجب لكني متعبة جداً.

- حسناً حسناً ارتاحي الآن لكن طمئنيني عن أخبارك.

انقطع الكلام من طرفها ليزيده جنوناً وقلقاً وحيرة، فهو لا يستطيع أن يقدم لها شيئاً مما تستحق منه. حاول أن يتصل بأصدقائهما المشتركين لكن الجميع كانوا مجرد أصدقاء إنترنت ولا يعلمون شيئاً.

ظل يجوب الأماكن بكامرته لكن المشاهد كلها اختفت وكأن خالقها قد سلبها الحياة. وكلما أحسّ بالتعب لجأ إلى مقهى الانترنت عسى أن يصله منها ما يطمئنه. وفي إحدى المرات كانت البشرى إذ تركت له رسالة ترد فيها على عشرات الرسائل التي بعثها ليطمئن عليها:

- أنا بخير وأتماثل للشفاء لكني لا أشعر برغبة في فعل أي شيء وخصوصاً الكتابة. شاهدت الصورة التي نشرتها قبل أيام وكانت رائعة كروعة مشاعرك. أحسست أني ذلك العصفور الجريح الذي صورته وشعرت بالذنب لأني لم أطمئنك عني. أشكر لك اهتمامك أيها الصديق الصدوق النادر.

أحسّ أن الأرض قد تحركت وعادت لها الحياة وأن الألوان بدأت تعود إلى الوجوه والأشجار والأشياء.

"لكن عدستي ودّت لو صورتك في صحتك ومرضك يا سامية"

وما هي إلا أيام فإذا برسالة منها تدعوه هي وزوجها فيها لحضور عرس ابنتها التي كانت تسلم عليه بين فينة وأخرى.

أمعن النظر في قاعة الفندق محاولاً أن يعرفها من الصورة التي رسمها لها في مخيلته لكنه فوجئ بها تبادره السلام وقد عرفته وكأنها رأته ألف مرة.

- فضحتك نظراتك الحائرة في الوجوه و..
- والكاميرا التي أحملها، أليس كذلك؟
- هو كذلك يا شاطر. تعال أعرفك على الجميع دون استثناء.
- سامية! ألا تذكريني من مكان آخر؟
- لا أظن..، أين؟
- أنا زبون في البنك الذي تعملين فيه!

ثم قدّمتهُ للحضور:

- هذا هو صديقي البطل الذي حدثتكم عنه



- بطل يا سامية؟ سامحك الله!

- كلهم يعرفونك وكانوا يودّون لقاءك.

- لقد بالغتِ يا زميلتي العزيزة.

- دع عنك تواضعَ الكبار وأبلغ رسالتك.

- رسالة ماذا يا سامية؟ أنا مجرد مصوّر بائس هرب من عيون العسس.

- حدثنا عن العراق وحقيقة ما يجري فلقد أهلكَنا الإعلام بتضليله.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



عصفورُ المنفى

يوقظه عصفور ملون كل يوم بنقرات منقاره الصغير على شبّاكه في الصباح.

وهو ينثر له فتات الخبز قبل أن يفطر ويراقبه وهو يتناول فطوره بدَعةٍ وهو ينظر إليه وكأنه يعبر له عن امتنانه.

يطير بعدها ليقف على غصن شجرة التوت في الحديقة الخلفية ليبدأ تغريده الجميل واستعراض ألوان ريشه الزاهية وكأنه يدفع له ثمن الفطور ويرد له جميل المعاملة الطيبة.

جادله صديقه أن عمّان ليس فيها طيور، وخصوصاً العصافير والبلابل الملونة:

- وأنا أفتش عن طائر من التي تحكي عنها منذ قدومي إلى المدينة ولم أجد.
- تعال وتناول الفطور عندي لترى بعينيك إن لم تكن واثقاً من صور كامرتي
- يا عم مبروك عليك عصافيرك وروحك المفتشة عن الجمال.
- لو تعرف كم هو جميل أن ينقر على شباكك عصفور!



- ربما ستؤثر فيك العصافير فتتخلى عن عشقك للبنادق وحامليها.

- لستُ عاشقًا للبنادق، بل للحرية التي يسعى لها حاملوها.

- لقد ضحّيتَ بكل شيء

- صدقت، كل شيء إلا نفسي

جاءه عصفورهُ ذات صباح ومعه عصفورة جميلة وقفت على مسافة منه في تردد واضح وهي تحدث صاحبها وكأنها تقول له: كيف تثق بهذا الإنسان؟! لكنها بدأت تقترب شيئاً فشيئاً لتشاركه الفطور وكأنها تحتمي خلفه من مجهول تخشاه.

"سأصورك اليوم يا صديقي! فهذا أقل واجب أؤديه تجاهك في يوم زفافك."

استرسلت الكاميرا:

كلك كلك كلك كلك ....

"يا لجمال عروسك يا صديقي!"

كانا ينفشان ريشهما ويقترب أحدهما من الآخر وكأنهما يدركان ما كان يفعل! وما أن انتهى من التصوير حتى حلّقا معاً في فضاء الحديقة وارتفعا عالياً قبل أن يعودا إلى غصن شجرة التوت ليقفا معاً ويكملا عرسهما الجميل.

التقط ماكنة حلاقته وصار يحلق ذقنه وهو يستمع لتغريدهما. وفجأة توقف الغناء

التفت إليهما فلم يجدهما على الشجرة!

خرج للحديقة فوجد العصفور ملقى على الأرض وعروسه تداعب ريشه بمنقارها الصغير وطفل على السياج مبتهج وهو يقول لأصحابه: اصطدته! اصطدته من أول حصاة رميتها...!

عادت به الذاكرة للعصافير والحمام في حديقة منزله في العراق، وكَم منها قد اختنق بقنابل (أبطال التحرير) الفوسفورية والذكية.

حمل الكاميرا بتلقائية المصور ليسجل مشهد العرس الخير:

كلك كلك كلك

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



الوجهُ فِي النافذةِ الأُخــــــرى

يئس من تصوير أي شيء ذلك اليوم لأن الثلج لن يترك له فرصة للخروج، وليس مولعاً بتصوير ثلج بلا ألوان.

الوجه في النافذة الأخرى يبتسم، بل يضحك بهستيريا.

"أنت تذكرني بتلك العروس التي قتلها جنود (الحرية) ليلة زفافها ومعها ثلّةٌ من أهلها، فهي ذات وجه يحمل سِمات الورد التي تحملها أنت أيها الوجه الجميل"

بينه وبين عدسته زجاج نافذتين وثلج يهبط من السماء، والرسول بينهما الفضول الواضح على كليهما

الوجه والعدسة التي كلما التفتت إليه وجدته يبادلها النظرات

كلك كلك كلك

ثم سرعان ما يلتفت الوجه الجميل إلى الناحية الأخرى مستمرًا بالضحك وهو يتحدث عبر الهاتف المحمول.

فضول: تُرى إلى من تتحدث أيها الوجه الجميل؟

وعلامَ تضحك أيها الوجه الجميل؟

هل أنت سعيدٌ حقًا أَيها الوجه الجميل؟

ولماذا لم تُحرّك فيَّ رغبة الرجل أيها الوجه الجميل؟!!

توقف الوجه الجميل عن الضحك فجأةً فاختفت الابتسامة الخجلى من وجه المصور.

عاد الفضول: تُرى ماذا سمعت أُذنك الناعمة؟ لا بدّ أن الوجه الآخر عبر الهاتف قد حرّك شفتيه بما لا يسُرّ. !!يا إلهي !! إنها دمعةٌ تسيلُ ويدٌ تمتدُّ لتجففها بارتعاش !!

كلك كلك كلك

اضطرب وجه المصور وتجهَّم ...، حاول أن يوصل رسالة تضامن إلى الوجه في النافذة الأخرى

اشتدّ هطول الثلج

يدٌ فتحت النافذة وامتدت إلى الخارج باتجاه وجهه، لكنها لم تكن معنيّةً به بكل تأكيد.

أخذَت اليد بعض الثلج إلى الداخل لتمسح به على الوجه الحزين الذي توردَّدَ كزهرة، ثمّ احمرَّ كجمرة، ثم سكن في دَعةٍ والهاتف لم يزل ملتصقًا بأذنه، وأخيرًا توارى في ظلمة الغرفة.

تُرى: هل هي قصةٌ بينك وبين وجهي تستحق أن أصورها أيها الوجه الجميل في النافذة الأخرى ؟ !

انتبهَ فإذا بوجوه ملونة في نوافذ الحيّ تمدُّ نواظرها إلى الخارج تراقب ما يجري بين وجهه وبين الوجه الجميل... ، وتبتسم!

كلك كلك كلك كلك ....

خجل وجهه فهرب بعيدًا عن النافذة إلى ظلام غرفة تظهير الصور!!!

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



القصة الأخيرة

خرج مع مجموعة من شباب القرية التي ينحدر منها والكاميرا بيده. كان أصحابه يحملون أشياء أخرى لا علاقة لها بالتصوير وبينهم صديق طفولته أحمد.

- هل ستحرق الدبابة بكامرتك الصغيرة يا صديقي؟
- سأترك لك مهمة الحرق وأبتلع الدبابة لتكون في هذا الصندوق دليلاً على شجاعتك.
- أرجوك ان تعود لأمّكَ هذا اليوم فقلبي يحدثني بها لا أحب.
- كن متفائلاً ولا تجعلني سبباً لتوتر أعصابك. نريدك صافي الذهن لتصيب الهدف.
- الهدف من نصيبي ولا بدّ ان أثأر لقتلى الأمس الذين أحرقوهم بلا رحمة.

بدأ الشباب الحفر بهمة وهم يتسامرون، فهم لا يخشون أن يشي بهم أحد وهنالك من يراقب الطريق ليبلغهم بأي طارئ.

لم تستهوه فكرة تصوير عملية الحفر لكنه مضطر لتوثيق كل شيء بالتفصيل إلا وجوه أصحابه فهي من المحرمات.

- بقي لكم من الوقت دقائق معدودة إن جاءوا في وقتهم المعتاد.
- انتهينا تقريباً ولم يبق إلا ربط الأسلاك.

صوّر وصوّر وصوّر وكان يشعر وكأنه يطلق النار.

- لا تعطوا الكلاب فرصة للنجاة. أتقن العمل يا صديقي أحمد.
- ما بك اليوم؟ أراك أكثر حماسًا من كل مرة.
- ما صورته من أشلاء ودماء يوم أمس جعلني أندم لأني لم أتدرب معكم منذ البداية.
- أبادوا عائلة بكاملها وكانوا يضحكون بعدما أنجزوا المهمة وكأنهم انتصروا على جيش!
- صورتهم وأرسلت الصور إلى وكالات الأنباء، لكنني أعلم أنهم لن ينشروها.
- الإعلام مجرم أكثر من الجنود. هيا بنا نختبئ ونستعد فقد انتهينا من نصب العبوة التي ستنسفهم.

ساد الصمت المطبق والعيون ترنو إلى إيماءة من فتى جالس على بداية الطريق.

دارت صور قتلى الأمس في رأسه وكأن الجريمة تتكرر مرة ومرتين وثلاث مرات وألف مرة!

- استعدوا وتوكلوا على الله، فها هو ذا أخونا يخبرنا بقدومهم.

كان صوت الدبابة (الإبرامز) مرعباً وهي تقترب منهم، وهو يشعر بقلبه يغلي.

صارت صور أخرى تتزاحم في مخيلته..،

أبوه في رداء أبيض يومئ له أن يقترب،

وصديقه الذي استشهد قبل عام يبتسم له،

ووجوه قتلى الأمس تتحشد وكأنها في مظاهرة والدم يسيل منها.

- ما بك يا صديقي؟ هل أنت بخير؟

- أنا بخير، لا تقلق عليّ وركّز على هدفك. وقِّت جيداً فما هي إلا لحظة ويذهبون إلى جهنم.

- لكنك تتصبب عرقاً. اذهب من هنا واترك الكاميرا معنا فأنت لا تبدو بخير.

- لا تهتمّ، ركّز أرجوك فهم يقتربون.

ضغط صاحبه على الزر ودوّى الانفجار الرهيب.

- ألله أكبر.

- كلك كلك كلك

- انتبهوا..، مروحية في السماء! تفرقوا واحتموا.

ظل واقفاً يصوّر الطائرة وأصحابه ينادونه أن يختبئ في الساقية القريبة، وسرعان ما دوّى انفجار ثانٍ في المكان، لكن الهدف كان مختلفاً، هم كانوا الهدف!

- دارت به الأرض وأحس ببرد شديد وهو يهوي بسرعة.

- صوروني

- اصمد يا صديقي، سننقلك إلى المستشفى.

- صوروني، صوروني أرجوكم!

نظر إلى الكاميرا وهي تُحدِّقُ بهِ على غير عادتها، فلطالما كانت عينَه الثالثة التي يرى بها الأشياء ولا يراها أو تراه.

كلك كلك كلك

- لن أرى صورك هذه المرة

وساد الصمت في رأسه بالرغم من الصخب الرهيب الذي سمعه الآخرون.

استيقظ على صوت يعرفه:

- دكتور نشأت! هل أنت ميت معي أم أنا حيٌّ معك؟
- نحن ميتان في انتظار حياة سرمدية حدّثتنا عنها بشعرك دومًا.
- وكامرتي؟
- في الحفظ يا مجنونها فلا تخَف.

⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘⌘



خاتمـــــة

الآن وقد قرأتم هذه الومضات التصويرية، أرجو أن أكون وُفِّقتُ في إبلاغ رسالتي التي حرِصتُ أن تكون جزءًا من واقع أليم لعراق ما بعد الاحتلال الأمريكي.

ولستُ أُنكِرُ أني نسجتُ الكثير من الخيال الذي غلّفتُ به هذه الرسالة مُحاولًا أن أبقيكم معي حتى الكلمة الأخيرة،

كما أُقِرُّ أني هربتُ من التفصيل الذي خشيتُ أن يكون جالبًا للملل ونحن نعيش عصر السرعة.

لكلِّ قلبٍ نَبَضَ للعراق وضحاياه محبتي

ولكلِّ قلمٍ شريف تثميني واحترامي

ولأبطال أمتنا عهدٌ منّي أن أظلَّ وفيًّا لما قدَّموا ويُقَدِّمون

ولكم أيها القارئون إلى النهاية امتناني.

مكّي النزّال